



قال نائب الرئيس الأميركي مايك بنس، أمام مؤتمر ميونخ للأمن، إن سحب القوات الأميركيّة من سوريا هو "تعديل في أساليب العمل، وليس تغييراً في الاستراتيجية". وفي السياق، قال السناتور الجمهوري ليندسي غراهام، إن تراسب سيطلب من قادة الدول الأوروبيّة، خلال زيارة رسميّة سيقوم بها إلى أوروبا لاحقاً، إرسال قوة عسكريّة لأجل إنشاء منطقةٍ عازلةٍ في شمالي سوريا. وتردد القيادات العسكريّة الأميركيّة الرقيقة أن القوات الأميركيّة ستنسحب من سوريا، ولكن بشكل تدريجي، وبعد تحقيق النصر الكامل على تنظيم داعش.

نجحت إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترمب في استرداد كثير من خيوط اللعبة في سوريا: هي ألهت اللاعبيين المحليين والإقليميين بورقتي الانسحابات وإنشاء المنطقة الآمنة، وهي تحاصر عواصم أوروبية عديدة بقرار تحمل مسؤولياتها باتجاه إنشاء منطقةٍ عازلةٍ تحمي الحليف الكردي المحلي هناك، وهي حصلت على دعم عواصم عربية عديدة لتمويل أي مشروع اتحادي في سوريا الجديدة.

آخر ما كانت تتوقعه واشنطن ربما أن تقع المستشارنة الألمانية، أنجيلا ميركل، في ورطة التساؤل عما إذا كان الانسحاب من سوريا فجأة وبسرعة هو فكرة جيدة للأميركيين؟ ألن يتسبب ذلك بإحداث حالة من الفراغ هناك، ويعزز قدرة روسيا وإيران على ممارسة نفوذهما؟

هذه المؤشرات وغيرها تعني أن ترمب لم يعد يريد التنسيق مع أنقرة في موضوع الانسحابات والمنطقة الآمنة، لأنّه حشد قوى محلية وإقليمية كثيرة إلى جانبه، في قرار سحب القوات، أو خطة المنطقة الآمنة التي ترى واشنطن أنه لم يعد لها مبرر بعد القضاء على خطير مجموعات "داعش" في شرق سوريا.

في مكان آخر، يردد وزير الخارجية الروسي، سيرغي لافروف، أن بلاده لن تتحمّل إلى الأبد هذا الكم الهائل من الإرهابيين في

إدلب، وأن تلك الأزمة سوف يتم حلها في أقرب وقت. في المقابل، ينقل الإعلام التركي عن الرئيس أردوغان قوله إنه لا عقبات أمام عملية عسكرية مشتركة مع الروس في إدلب ضد جماعات جبهة النصرة "لأن الأمر الأساسي بالنسبة لتركيا هو أمن سكان المنطقة هناك".

هل يعني ذلك أن موسكو وطهران تركتا أنقرة أمام خيارين أحلاهما من القبول بعملية عسكرية مشتركة معهما في منطقة إدلب أو إطلاق يد النظام في المنطقة للقيام بعملية عسكرية مشتركة هناك ضد مجموعات جبهة النصرة، وهو يقول إنه مستعد لذلك من خلال الهجمات وعمليات القصف التي ينفذها في إطار تسلم كل الأرضي السورية.

وقد أكدت مصادر لصحيفة المدن الإلكترونية في لبنان أن رئيس جهاز الأمن الوطني السوري، اللواء علي مملوك، وبعلم من الروس، زار قبل أسبوع سرا مدينة أنطاليا الساحلية التركية، حيث التقى فيها وفداً من الاستخبارات التركية. وتتفق هذه المعلومات مع ما قالته قيادات تركية عديدة، أخيراً، عن اتصالات أمنية تجري بين الطرفين على مستوى منخفض. ويحاول أصدقاء تركيا الروس والإيرانيون أيضاً محاصرتها بخيار الانفتاح على النظام في سوريا للخروج من ورطة إدلب وخطبة المنطقة الآمنة على السواء.

لا تزال عملية خلط الأوراق في سوريا مستمرة، نظراً إلى وجود سيناريوهات كثيرة، متباينة ومتضاربة، وقد تكون اتفاقية أضنة الموقعة عام 1998 بين أنقرة ودمشق الفرصة الأقرب للتفاهمات في الشمال، بعد إضافة ملاحق جديدة عليها، تأخذ بالاعتبار التطورات العسكرية والميدانية القائمة.

فيما كان الرئيس أردوغان يقول، في طريق عودته من قمة سوتشي، إن بلاده تحاول إقناع موسكو وطهران بمشاركة عراقية ولبنانية في قمة إسطنبول المقبلة بين تحالف أستانة الثلاثي، كونهما بين الدول المجاورة لسوريا أيضاً، برب ما نسب إلى وزير الدفاع اللبناني، إلياس بو صعب، في صحيفة عربية تمولها السعودية، بإبلاغ نظيره التركي على هامش قمة ميونخ بتحفظ لبنان على خطة المنطقة الآمنة التركية، لأنها "لن تكون الحل المطلوب، بل ستتشكل ملاداً آمناً للإرهابيين"، معتبراً أن "أي وجود تركي على الأراضي السورية من دون موافقة الدولة السورية غير مرحب به، وغير شرعي، ويعتبر بمثابة احتلال".

تطورات ومواقف متلاحقة سريعة في التعامل مع ملفات شمال سوريا، سواء على جبهة شرق الفرات أو غربه. محاولة أميركية واضحة لفرض "العديد الوطني لتحرير شرق سوريا من داعش" على الشعب السوري، ولتحويل مجموعات قوات سوريا الديمقراطية (قسد) إلى أبطال حرب ضد تنظيم داعش، بهدف منحهم حق الجلوس إلى طاولة التفاهمات الكبرى في الملف السوري. وهناك تحرك أمريكي إقليمي لتوفير الحماية لمجموعات "قسد" وعرقلة محاولة النظام استرداد شرق سوريا، أو إعطاء تركيا ما تريده في طرح المنطقة الآمنة، وبالتالي المناورة عبر ترويج لاستعداد "قسد" التخلص من مشروع الفيدرالية أو الحكم الذاتي في مقابل بديل اللامركزية الإدارية، أو الإدارة المستقلة. وترى واشنطن أيضاً أن تفرض رؤيتها على حليفها المحلي الذي دعمته وجهزته، ليس من أجل محاربة "داعش"، بل من أجل مرحلة ما بعد "داعش" في سوريا.

بإيجاز أكثر، بدأت الإدارة الأميركيّة الكشف تدريجياً عن أوراقها في سوريا على ما يبدو. هي لا تبحث سوى عن مصلحتها هناك، وكل ما قيل عن أسباب تسليحها وتجهيزها لوحدات "قسد" أبعد من رغبة القضاء على عناصر "داعش"، أو استعداد لسحب الجنود من سوريا، أو بحث خطة المنطقة الآمنة بالصيغة التي تطرحها أنقرة، فوعود الصباح تتبدّل ما أن يحل المساء.

يقول وزير الخارجية التركي، مولود جاووش أوغلو، إن بلاده قادرة على تطهير مناطقها الحدودية من دون الحاجة لأحد. هو رد على الدعوة الأميركيّة لإشراك بعض العواصم الأوروبيّة في عملية انتشار عسكري في شمال شرق سوريا بتشجيع بعض العواصم العربيّة. أنقرة تدرك جيداً أن واشنطن تريد عرقلة أي عملية عسكريّة تركية في شرق الفرات، وأن تكون هي التي تقود خطة بناء منطقة عازلة توفر الحماية الجغرافية والعسكرية والسياسية لحلفائها في وحدات حماية الشعب، فما الذي

ستفعله أنقرة في إطار خطوات نقل الأحجار على رقعة الشطرنج السورية، وبمن ستشق بعد ذلك في سوريا، حيث يتحول الملف هناك إلى شورية خضار، لا نعرف من يعدها ولا تركيبتها ولا من سيُدعى إليها؟ لا خيارات كثيرة أمام أنقرة بعد الآن، أما العمل على قطع طريق ما تصفها بالمحاولات المستمرة لتفتيت سوريا وتقسيمها، حتى ولو كان الثمن خيار التحرّك العسكري في الشمال لحماية أمنها القومي، انطلاقاً من الداخل السوري، وبالتنسيق مع موسكو وطهران والنظام، أو المجاهرة بسيناريو استعدادها لمحاورة النظام في دمشق، بضمانت روسيّة إيرانية وإطلاق يده ليتحرك هو باتجاه السيطرة الكاملة على الشمال السوري. لكن هناك معضلة أن "قوات سوريا الديمقراطية" تريد توسيع انتصاراتها على "داعش" بانتصارٍ ما يترجم سياسياً ودستورياً على الأرض أقله "الإدارة الذاتية الديمقراطية" في شرق الفرات في إطار الدولة الاتحادية اللامركزية. مع من وكيف ستفعل ذلك؟

واشنطن التي كانت تقول إن دعم حليفها الكردي المحلي في سوريا مرتبط بمدى استعداده لمقاتلة تنظيم داعش، تقول الآن، وعلى لسان قائد قوات التحالف الدولي لمحاربة تنظيم داعش، إن الولايات المتحدة ستتوقف عن دعم "قوات سوريا الديمقراطية"، في حال تحالفت مع بشار الأسد أو نسقت مع الروس.. التهديدات الأميركيّة قد تعني أن الخيار الثاني هو الذي يتقدّم.

المصادر:

العربي الجديد